(٢)

"ثقب الإبرة"

نظر من ذات الفتحة الضيقة التى اعتاد أن ينظر من خلالها ليرى ما حوله من متناقضات ومشاحنات وصراعات، ورغم أن هذه الفتحة الضيقة لم تكن سوى ثقب إبرة خانق، إلا أنها كانت تمكنه من رؤية الدنيا بأسرها كما أراد هو، وكما أعدَّ نفسه لرؤيتها.

كان يظن أن الدنيا من حوله هى تلك التى كان يُطل عليها من ثقب الإبرة الضيق، وعندما تعبت عيناه من النظر من خلال هذه المساحة الضيقة، فكر أن يحاول رؤية الدنيا برحابتها بدون الاستعانة بهذه الفتحة المحدودة الأبعاد. وبالفعل من أول مرة رأى فيها الدنيا بدون ثقب الإبرة الضيق شاهدها ذات سماء بلا حدود، وأفق بلا نهاية، وأرض رحبة فسيحة، ذات جبال وسهول، ووديان وأنهاروبحار أكبروأجمل مما كان يراه من قبل.

وبالرغم من وجود نفس المتناقضات والمشاحنات والسلبيات والشدائد والصعاب فى ذات الدنيا التى يعيش فيها ويراها كل يوم بعينيه، وبرغم عدم تغير أي منها على الإطلاق، إلا أن رؤيته لها فى إطارها الفسيح، والحيز الرحب الذى تشغله بالفعل، جعلها تبدو أمامه أصغر بكثير مما كانت عليه عندما كان يراها من خلال ثقب الإبرة الضيق.

ومع صباح يومٍ جديد، عادت زقزقات الطيور الصغيرة بعدما ظن أنها لن تعود، وعادت الأنغام العذبة الرقيقة بعد طول انقطاع. عادت الحياة وبهجتها لتشرق شمس الأمل من جديد بضوئها الساطع لينفذ عبر زجاج نافذة غرفته الصغيرة، وكأنه يصر على أن يوقظه من نومٍ ضيَّع فيه عمره هربًا من ألمٍ بلا دواء، وحُلم بلا ارتواء، وبكاءٍ بلا انقطاع.

فهبَّ من فراشه، وفتح شباك نافذته بحثًا عن الطيور المغردة، فإذا بها تطير فى السماء، ثم تهبط بالقرب منه وكأنها تلقى عليه تحية عتاب بعد طول غياب. فما كان منه إلا أن ردَّ تحية الطيور المحلقة فى السماء، بابتسامة لم ترتسم على وجهه منذ سنوات، ولم ينس بين حينٍ وآخر أن تظل عيناه متعلقة بالنظر إلى السماء متأملة اتساع الأفق الذى تختفى فى رحابته كل صعاب الحياة.